نظرة

في اصلاح الفاسد : من لغة الجرائد

ـ بحث لغوي انتقادي ـ

Notes philologiques.

الشيخ ابراهيم بن ناصيف اليازجي باحث منقب ولغوي ضليع . خدم اللغة العربية بقدر ما أوتي من العلم خدمة لا تنكر . بل تذكر له فيشكر . على ممر الدهر .

تنقلب الى تاث وهذه الى تونس . وكذلك هو لا يرى صعوبة فوق العادة ان تكون تاء تونس منقلبة عن الدال وهذه عن الجيم في مدى سنة ٨٧٠ ثمان مئة وسبعين سنة او ستة وعشرين جيلا تقريبا . أضف قرث الى « تحنة » او تونس فيكون لنا قرطاجنة او ما يقرب منها و يتحول مع الايام منها اواليها .

اذا صح هذا التعليل فالقطعة التي امامكم هي من ضرب « المدينة الجديدة » « قرث حدشة » التي جدد بناؤها على انقاض « قرث جونة اوتونة » ولعل في ذكر « تحنة » على الجانب الاخر من القطعة اشارة الى اسمها الاول بعد ان انطفأت نائرة العداوة والبغضاء بين المدينتين المتشاحنين على الفتى والرياسة رومية وقرطاجنة بانقلاب الثانية وانتقاض بنيانها من اساساته .

ارجو من عزيزي امين بك ان يراجع تاريخ ضرب القطعة التي بين يديه فان كان بعد تجديد بناء المدينة التي خربها سيبيو الاصغر ترجح ما قلته اما اذا كان يرجع الى ما قبل الحرب البونية الاولى فارجع انا عن رايي الذي لا يجوز ان تكون كرثيدون او كرثيدون منقلبة عن « قرث حدشة » الى رايك الذي يجوز ذلك و يعلل عنه

بيروت في ٢٠ ايار سنة ١٩٢٦

من الجامعة الاميركانية
جبر ضومط

ولولا خلتين ـ هما الغرور والتسرع ـ تغلبتا عليه تغلب القوي على الضعيف لكان يعد في الرعيل الاول بين علماء اللغة المحققين .

كان اليازجي من الغرور بنفسه بحيث لا يرى أحدا من الغابرين والحاضرين أعلم منه باللغة . ومن التسرع الى النقد بحيث ينكر الشيء وهو ظاهر ظهور الشمس في رائعة النهار . كما يظهر ذلك لمن ينظر في رسالته (لغة الجرائد) نظر ناقد بصير .

ورسالته هذه عبارة عن مقالات كان ينشرها في مجلة الضياء ينتقد فيها كلمات وتعابير الكتاب غير جارية على أصول اللغة ومناحي العرب في أساليبهم . وربما أدمج فيها كلمات سبقه الى انتقادها أمثال الحريري والخفاجي وغيرهما من أئمة اللغة من غير اشارة الى ذلك . ثم جمعت بشكل رسالة جاءت في ١٢٤ صفحة بقطع الربع .

وقد اتفق أن اطلع عليها أخيرا الاستاذ محمد سليم الجندي من اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق . فرأى فيها من الاوهام ما لا يصح السكوت عنه . فكتب مقالة أخذ على اليازجي فيها نحو اربعين غلطة . منها كلمات غير جارية على السنن الصحيح . وأخرى عدها من الغلط وهي من الفصيح : ونشر مقالته في احدى

صحف الشام ، فكبر ذلك على الاديب قسطاكي الحمصي ، أحد عشاق الشيخ اليازجي ، فانبرى للرد عليه ، ولكن بأسلوب هو الى المهاترة ، أقرب منه الى آداب البحث و المناظرة ، فكان في دفاعه عن شيخه « كالغريق يتشبث بالمرفط طلبا للنجاة » كما وصفه الجندي . فلم يسع الجندي اذ ذاك إلّا ان يناقشه فكتب سلسلة مقالات نشرت في احدى جرائد دمشق . ثم عاد فجمعها في كتاب بلغ نحو (١٥٣) صفحة وسماه (اصلاح الفاسد من لغة الجرائد).

***

ليس الجندي هو أول من تعرض لاوهام اليازجي بل سبقه الى ذلك طائفة من الفضلاء فيما سمعت . وأعرف منهم صديقنا الاديب الفحل الاستاذ الشيخ عبد الرحمن سلام البيروتي ، (١) فقد رد عليه برسالة سماها (دفع الاوهام) وطبعت سنة ١٣١٧ هـ في المطبعة الادبية ببيروت .

وقد التزم فيها الدفاع عمن غلطهم اليازجي من الشعراء الجاهليين، والبلغاء الاسلاميين : كالحرث بن حلزة اليشكري. وعنترة العبسي، وعدي بن زيد العبادي من الفريق الاول . و كالبديع ، والحريري،

(١) بعد انشاء المقالة علمت ان للاستاذ الكرملي ردا مطنبا أسماه (النغم الشجي في الرد على اليازجي) وليته يتفضل بنشره في (لغة العرب) . فيخدم لغة العرب .

ولسان الدين الخطيب وأمثالهم من الفريق الثاني . وجملة ما اخذه على اليازجي نحو اربعين كلمة ايضا لم يتعرض لها الجندي الا في كلمات منها مثل تأنيث اليشكري كلمة (ضوضاء) في قوله :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحتهم ضوضاء

واستعمال لسان الدين الخطيب فعل (أنف) متعديا في قوله :

قالوا لخدمته دعاك محمد فأنفتها وزهدت في التنويه

وتذكير عبد الصمد الصفار كلمة (الشقائق) في قوله :

وشقائق شق القلوب كأنه خد مليح ضم صدغا اسودا

وقولهم « تعرف على فلان » اذا أحدث به معرفة .

***

على ان كلا من هذين الفاضلين لم يستقص جميع أوهام اليازجي ، بل اغفلا اشياء كثيرة أذكر منها على سبيل المثال : انكاره استعمال (النوادي) مع كونه القياس في جمع (النادي) . وهذه دعوى لا تسلم له ولا لمن هو اكثر منه احاطة بكلام العرب . كيف وقد استعمل هذا الجمع قديما ولم ينكر ورود أحد سواه؛

قال معاذ بن صرم الخزاعي فارس خزاعة :

ولست برعديد اذا راع معضل ولا في نوادي القوم بالضيق المسك

وقال مجد الدين الفيروزابادي في مقدمة القاموس المحيط :

« محمد غير من حضر النوادي » وأقره عليه الشراح ، ولم يأخذه عليه أحد من النقاد الفصاح .

ودعواه ان استعمل (التحرير) بمعنى الانشاء علمي . وقد فاته ان الحر من كل شيء خياره وان التحرير في الكتاب ان يراعى فيه خيار الكلام والمعاني . وان المتقدمين كانوا يستعملون التحرير في تجويد الخط ثم توسعوا فيه فأطلقوه على الانشاء .

قال الاستاذ المتحر العبقري ، الشيخ عبد القادر المغربي ، في نقد « تذكرة الكاتب » التي تابع صاحبها اليازجي في كثير من المسائل : وهذا (يعني التحرير) عينه وقع في كلمة (الكتابة) فان اصل معناها الخط باليد ، والكاتب هو الذي يخط الكلام لا الذي ينشؤه ويهيؤه في نفسه ، (كذا وردت الهمزتان مكتوبتين على الواو . ل . ع) ثم توسعوا في الكتابة فأطلقوها على الانشاء . وأطلقوا الكاتب على المنشيء . راجع مجلة المجمع العلمي العربي م ٤ ص ٢٦١ .

ـ وقوله ان العدو اللدود بمعنى الشديد العداوة هو خلاف المعروف في استعمال العرب لان اللدود عندهم بمعنى الذي يغلب في الخصومة . ولا أدري أيخلو عدو من خصومة حتى يأتينا

اليازجي بهذه الفلسفة المبتكرة ؟!

ـ وقوله إن (القهاوي) في جمع القهوة متابعة العامة (١) . وهو هنا يرشدنا الى تصحيح الجمع قبل تصحيح مفرده وقد فاته ان القهوة للمكان عامية وان الصواب أن يقال (المقهى) .

ونحو هذا مما أغفله ذانك الفاضلان كثير جدا في كلام اليازجي ولعلنا نفرد له مقالة اذا وفق الله .

* * *

ونقد الاستاذ الجندي نقد عالم بصير . وناقد خبير . لا ترى فيه الا السلوك على المحجة . وقرع الحجة بالحجة . اللهم إلّا في الندرى مما هو ناشيء عن تشدد فيه . لرأي يرتئيه ، تجاوز فيما أحسب . حد التعصب . وما كان ينبغي له أن « يحجر علينا من اللغة واسعا . و يحرمنا من شهي اثمارها يانعا » مما لو رجع الى نفسه و كلفها ما يكلفنا من الجمود على « ورد ولم يرد » ، وعدم التسامح في التوليد و الاشتقاق ، والتوسع في الاستعمال و الاطلاق ، لما وسعه إلّا ان يتهم اللغة بالعقم او يخرج على نظامها غير حاسب لاحد حسابا ، وهذا ما اعيذه منه .

ولقد هالني تشدده في منع « مشاهير » في جمع « مشهور »

(القهوة) لمحل شرب القهوة هي من باب حذف المضاف وابقاء المضاف اليه اي مشرب القهوة وهي فصيحة لا غبار عليها كلسأل القرية والجمع قهوات . (ل : ع)

بدعوى انه لم يرد في كلام العرب . ولا ادري مما يضر اللغة لو قسناه ـ و باب القياس في لغتنا اوسع ولا شك من سم الخياط ! ـ على الجموع التي يدعي شذوذها ؟

نحن لا نريد ان نقتسر الاستاذ على النزول عن رايه لان ذلك لا يعنينا وليس بنافعه ايضا إذ من المحال ، ان يهجر هـذا الاستعمال ، و ينزل عند رأي هذا المفضال ، ولكننا نورد نكتة يتبين منها مبلغ تعصبه لما يذهب اليه وان كان غير سديد .

كنت يوما في مجلس شيخنا علامة العراق الاكبر الامام الالوسي رحمه الله فوردته كتاب من صديقنا الاستاذ اللغوي . الاب أنستاس الكرملي ، يذكر فيه انه رد على احد ادباء دمشق (يعني الاستاذ الجندي) مبينا فساد قول من يذهب الى ان جمع مفعول لا يكسر على مفاعيل سوى في الفاظ معدودة ؛ و يطلب اليه ان يذكر « اي الاثنين مصيب في كلامه » . فأملى الامام ـ على عادته ـ على كلاما جاء غاية الغايات في التحقيق . ثم قدر الله سبحانه ان نفقد الامام و يكتب الاب الكرملي تأبينا يستدل فيه بهذه الفتوى على إمامته في العلوم اللسانية ، وان يسمعها الفاضل الجندي و يطلبها مني فأبعث بها اليه .

ولكن ماذا كان من أمره ؟

كان من أمره ان ابى إلا الوقوف عند رأي نفسه ، والتلذذ بنغمة جرسه ! ونحن نورد فتوى شيخنا على طولها لتكون حجة بيد المجيزين ، على المانعين ، استغفر الله ! بل على المانع ، إذ ليس هناك غير الاديب الجندي . قال رحمه الله :

« ... نظرت فيما كتبته على لفظ (المشاهير) رادا به على من انكر هذه اللفظة من ادباء دمشق حيث حكم انه لا يقال مشاهير ... فرأيتك قد وفيت له الكيل صاعا بصاع و الجمته بلجام الاسكات و الافحام غير ان خصمك لا يذعن للحق إما لجهل و إما لتجاهل . فان لفظ مشاهير اشهر من نار على علم ؛ و استعمال البلغاء لها قديما وحديثا لا يحيط به نطاق الحصر ولاسيما وجموع لغة العرب لا تدخل تحت قاعدة من القواعد وما ذكروه في هذا الباب إنما هو تقريب لا تحقيق ؛ فقولهم « كل ما جرى على الفعل من اسمي الفاعل و المفعول و اوله ميم فبابه التصحيح » فاعلم ان هذه القاعدة منقوضة بمئات من الكلمات . منها ملعون ومشؤوم وميمون ومسلوخ ومكسور وميسور ومفطر ومنكر ومطفل ومرضع ومجنون ومملوك ومجنوب وموقوت وموعود ومصروع ومخدوم ومضمون ومقدور ومعنول ومخنث ومسند ومسانيد ومرسل ومراسيل ومجموع ومجليع ومكتوب ومكاتيب الى غير

ذلك مما لا يقوم به الاحصاء ؛ فهل يجوز الحكم على جميع ذلك بالشذوذ وهي تجمع على مفاعيل و يستعمل هـذا الجمع فصحآء الامة العربية صيانة لما ذكره بعض الاعاجم من القاعدة التي ما انزل الله بها من سلطان ؟

على انه لو سلمنا ان هذه اللفظة من الشواذ عن قاعدتهم فلا يجوز الحكم بانكارها وقد وردت في الحديث النبوي لفظة (المشايب) فقول خصمكم انه ورد الحديث برواية اخرى وان الدليل اذا طرقه الاحتمال ؛ بطل به الاستدلال ؛ مما يدل على مبلغ علمه في هذا المقام

فقد ذكر الائمة ان غلبة الظن في هذا الباب تكفي . فكيف وقد وردت روايات متعددة في غالب ما اشتهروا به من الشعر العربي ولم يقل احد من ائمة العربية إنه لا يصح التمسك ، بمثل ذلك ؛ لان الدليل اذا طرقه الاحتمال؛ بطل به الاستدلال .

وكل من ذكر هذه القاعدة استثنى الفاظا كثيرة منها . فانظر الى البغية للسيوطي ومـا استثناه وهو كتاب الفه على الكافية والشافية والالفية والشذور . فانه تعقب كثيرا من قواعدها وما اهمله اصحابها . وهكذا شراح التسهيل استثنوا كثيرا من الكلمات من هذه القاعدة ؛ أفيقال إن كل ذلك شاذ مع ان

الشاذ ينحصر في كلمة او كلمتين او اكثر . ثم ان الشاذ اقسام قسم منه موافق للاستعمال لا يعاب مستعمله فلو سلم ان لفظة المشاهير شاذة فلتكن من هذا القسم . ثم ان منهم من يقول إن لفظة المشاهير هي جمع شهير ؛ وشهير لا يجمع جمع السلامة لما في كتب الصرف : ان فعيلا بمعنى مفعول لا يجمع جمع الصحيح فلا يقال جريحون ولا جريحات ليتميز عن فعيل بمعنى فاعل ؛ وقالوا إن لم يكن متضمنا للافات و المكارة التي يصاب بها الحي كالقتل وغيره لا يجمع على فعلى كجريح وجرحى وقتيل وقتلى : فالشهير ليس متضمنا للمكارة فحينئذ لا محذور اذا قلنا إنها تجمع على مشاهير . وكذلك فأي منكر يلحق المستعمل لذلك بهذا المعنى . وكذا اذا قلنا إن المشاهير جمع لكلمة مشتهر وهذا الجمع لهذا المفرد مما صرحوا به مع حذف بعض الزوائد : فكيف ينكر استعمال لفظة المشاهير اذا ادعى انها جمع مشتهر ؟ فهل وقف احد على انهم جمعوا المشتهر جمع سلامته فقالوا (مشتهرون) ؟

ما سمعنا ذلك من احد قط . فتبين مما ذكرناه أن قد حكم على من انكر استعمل هذه اللفظة قدح صحيح ؛ وان المخالف لكم فيه الحاكم بانكار هذه الكلمة ليس وجه وجيه (١) » .

انتهى كلام الاستاذ الامام وهو من التحقيق و بعد الغور بحيث

(١) وفي مقال آت نذكر عددا من الالفاظ الواردة على مفعول مجموعة على مفاعيل (ع)

لا يسع الجندي ان ينكره؛ واذا بقي مصرا على رأيه وقال «ان العرب لم تستعمل المشاهير فلا يجوز لنا استعمالها مطلقا» فانا نطالبه باثبات استعمال العرب بكلمة (الواقع) في قوله ص ٥٩ (مالم يصدقه به الواقع) ونحوها في كلامه مما لو طالبناه باثباته عن العرب لضاق ذرعه؛ فلم يبق له بعد هذا إلّا ان يهجر مذهبه ويقول باطراد القياس الذي هو احد الادلة الجليلة على فضل لغتنا وقبولها للنمو ووسعها كل شيء من اسباب الحضارة.

***

وقد مررت بكتاب الاستاذ الجندي على غلطات وتعابير فرأيت ان اذاكره بها تلبية لدعواه الجفل في اول الكتاب وآخره لتدارك ما فيه من الخلل والخطأ عسى ان يجد فيما أزجيه بين يديه بغيته.

قال في ص ٣٨ (و إلّا لما اعترض) وفي ص ٥٨ (والالجاز). وادخال اللام في جواب ان الشرطية المقرونة بلا النافية ممنوع عند الجمهور على ما اذكر منذ زمان طلبي للنحو؛ فماذا يقول الاستاذ؟

وقال في ص ٢٣ (فأتى في اضعاف سطوره من القول البذيء بما يندي الجبين ويضحك الحزين) وانا اعلم يقينا ان القول البذيء يندي جبين صاحب الحيآء. ولكن هل يضحك الحزين؟ انا هنا مستفيد!

وقال في ص٦٦ (وصفوة القول إننا قلنا) وكسر همزة ان؛ الذي اعلمه ان التي تقع بعد لفظ القول غير محكية كما في عبارته هذه لا تكسر بل تفتح.

وقال في ص١٣٦ (لم نقل أن اليازجي) وفتح الهمزة وحقها الكسر لانها هنا محكية بخلاف الاولى وفي ص٧٢ (والجواب إن) والصواب فتح الهمزة. ولعل هذا من اغلاط الطبع؛ لا من اوهام الطبع.

وقال في ص٧٦ (سواء كان مع الدراهم او غيرها) والصواب وضع «أم» موضع «أو» وقد وقع هذا الغلط لخصمه ايضا فلم ينتبه اليه فيأخذه عليه كما أخذ عليه استعمال (تفيقه) وقال إنه سيضيفها فيما بعد الى الكلمات التي استعملها وهي مخالفة لقواعد العلم او غير مذكورة في كتبه. ولعله لم يشأ ان يشير هنا الى كل غلط يقع فيه خصمه ولو شاء لانكر عليه ايضا قوله ص٨٢ (ومما شرحناه يتضح للناقد المنصف ان تفيقه وحنلقة بعض الكتاب ...) حيث عطف على المضاف كلمة حنلقة قبل ان يأتي بالمضاف اليه. وهذا شائع في مقالات الكتاب فلينتبه اليه.

وكتب في ص٢ (الصلوة) هكذا بالواو. وهي كذلك عند الاقدمين ولكنني رأيته غير جار على مذهبهم حيث كتب (الحرث)

في عدة مواضع هكذا (الحارث) وهم يحذفون منه الالف سالم يتجرد منه الالف واللام .

وفي ص٢ س ١٤ (للخواجة) الصواب حذف النقطتين من الهآء وفي ص ١٧ (احمد ابن فارس) وص ١١٠ (نعمان ابن المنذر) وص ١٤٠ (زياد ابن عدي) والصواب حذف همزة (ابن) من كل ذلك . وقد حذفها حيث يجب اثباتها كما جآء في ص ١٤١ (وانشد بن دريد) . وفي ص ١٢ و ١٢٧ و ١٣٣ و ١٣٤ (وجائني) وفي ص ٢٤ (البذاءة) وفي ٢٥ (يسترون ورائها) وفي ٥٨ (الملائة) وفي ٨١ و ١٥٢ (مؤنة) وفي ٩٤ (وسئلت) وفي ٩٥ (ماورائها) وفي ١١٥ (وجائت) وفي ١١٨ (قرائتها ـ بقرائة) وفي ١٣٢ (الجزئين) وفي ١٣٨ (جائه) وفي ١٥١ (بذائته) وفي ١٥٢ (بادىء بدىء) وفي ١٥٣ (لنرجوا) ـ والصواب : (وجآني) (البذاءة) (ورآءها) (الملاءة) « مؤونة » « وسألت » « وما ورآءها » « وجآءت » « قراءتها ـ بقراءة » « الجزءين » « جاءه » « بذاءته » و « بادىء بدء » « لنرجو » .

وفي ص ٢٤ « ان يطغي » والصواب حذف التحتانيتين . وفي ٢٨ « جاحظ » الصواب « الجاحظ » وفي ٧٨ وهو من كلام قسطاكي (فيقال لك قوم من جلدتنا اي ملتصقين بعشيرتنا) والصواب

(ملتصقون) وفي ص ١٣٦ وهو من كلام قسطاكي ايضا (فلينظر أولي الالباب) والصواب (أولو الالباب) وفي ص ١٢٧ و ١٣١ (الاشموني) كذا بفتح الهمزة وانما هي مضمومة

بغداد في ١٠ حزيران سنة ١٩٢٦ محمد بهجة الاثري

اخوان الادب

شكري الفضلي

(١٨٨٢ م ١٩٢٦ م)

Chukry Fadhly

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

اصيب عالم الادب العراقي في اول الشهر الماضي بفقد اديب فاضل، وكاتب مجيد، قضى شبابه بلحثا دارسا، وكاتبا في الصحف ومؤلفا. نريد به شكري الفضلي الذي انتقل الى دار البقآء في غرة حزيران ١٩٢٦ فعزت وفاته على عارفي فضله، ورأينا من واجبنا ان نخلد له ذكرا على صفحات «لغة العرب» وقد كان رحمه الله من مكاتبيها وانصارها الغيارى.

الثقافات الثلاث:

وجدت في العراق بعد منتصف القرن الماضي ثلاث ثقافات للنشء: ثقافة شرقية عربية بعيدة عن اساليب التعليم الغربي، ولا اثر للغات الاجنبية فيها انما هي علوم الدين والعلوم العربية